

الجزء ٥ أيـــار سنة ١٩٢٢ م الموافق ٤ رمضان سنة ١٣٤٠ هـ المجلد ٢

غابر الاندلس وحاضرها

(١) صدر الكلام ومصادره

زرت في الشتاء الماضي (١٣٤٠ — ١٩٢٢) بعض امهات مدن الاندلس ، فارادني غير واحد من الاحباب على أن أحدثهم بطرف مما شاهدت في ربوعها من بقايا حضارة العرب ، فاجبتهم إلى رغبتهم ، شاكراً حسن ظنهم ، وقد رأيت ان أشفع مشاهداتي بشيء من مطالعاتي ، عن هذا القطر ليتعرف القارىء من الغابر وجه الحاضر ، ويقيس في الجملة ما كان هناك في عهد أمتنا ، على ما هو كائن اليوم في عهد غيرهم ، اذكر ما أثره العرب في تلك القاصية من حضارة ، وأثلوه من مجد خالد على جبين الدهر ، والسبب الذي به ارتفعت الاندلس حتى عدت أرقى مملكة في عهد شبابها ، والاعراض التي عرضت لها ،فهرمت فزال سلطانها ، وتداعى عمرانها ، وابذعر سكانها ، وربما نفعت في الأخلاف سيرة الأسلاف ، خصوصاً في أرض لم يكتفوا بأن فتحوها ، بل عمروها وتدبروها ، وحكوها واحكموها ، ومدارسة حياة الأجداد ، تربي أخلاق الابناء والاحفاد ، يصيبون فيها حكمة بالغة ، وموعظة حسنة ، والتاريخ يلقن الفكر بالجديد ، وينير الطريف بالتليد ، والله وارث الأرض ومن عليها .

وهاك ما رجعت إليه من الكتب والرسائل في تأليف الفصول التاليــة ومنه تعالى استمد المعونة ومن الراسخين في العلم تصحيح ما عساهم يعثرون عليه من الهفوات .

(١) طبقات الأمم لصاعد الاندلسي (طبع بيروت) (٢) نفح الطيب المقري (مصر) (٣) المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي (ليدن) (٤) قلائد العقيان للفتح بن خاقان (مصر) (٥) مطمــح الأنفس له (الاستانة) (٦) البيان المغرب في أخبــار المغرب لابن عذارى (ليدن) (٧) الاحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب (مصر) (٨) رقم الحلل له (تونس) (٩) الحلــل الموشية له (تونس) (١٠) الذخيرة في شعراء الجزيرة لابن بسام (مخطوط) (١١) أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر (مونيخ) (١٢) التعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري (مصر) (١٣) المسالك والممالك لابن حوقل (ليدن) (١٤) احسن التقاسيم للمقدسي (ليدن) (١٥) كتاب البلدان لابن واضــح اليعقوبي (ليدن) (١٦) تقويم البلدان لأبي الفدا (باريز) (١٧) أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم (مجريط) (١٨) الجزء الثاني والعشرون من كتاب نهاية الارب في فنون الأدب للنويري وفيه أخبار ملوك الاندلس من العلويين والامويين ومن ملك بعد بني أميــة إلى حين انقراض الدولة العبادية (غرناطة) (١٩) الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية (الجزائر) (٢٠) كتاب محمد بن تومرت مهدي الموحــدين (الجزائر) (٢١) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية للغبريني (الجزائر) (٢٢) المؤنس في أخبار افريقية وتونس لابن أبي دينار (تونس) (٢٣) ديوان ابن حمديس الصقــلي السرقوسي (رومية) (٢٤) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (ليدن) (٢٥) العيون والحدائق في أخبار الحقائق (ليدن) (٢٦) تاريــخ المسعودي (باريز) (٢٧) تاريخ الـكامل لابن الاثير (مصر) (٢٨) تاريــخ ابن خلدون (مصر) (٢٩) الحلة السيراء لابن الابار (ليدن) (٣٠) كتاب القضاة بقرطبة للخشني (مجريط) (٣١) تكملة التكملة لابن الابار (مجريط) (٣٢) التكملة لكتاب الصلة لابن الابار (الجزائر) (٣٣) صبــح الاعشى للقلقشندي (مصر) (٣٤) معجم البلدان لياقوت الحموي (ليبسيك) (٣٥) المكتبة العربية الاندلسية وفيها ستة كتب وهي الصلة لابن بشكوال وبغية الملتمس لابن

عميرة الضبي والمعجم لابن الابار والتكلة لكتاب الصلة لابن الابار وتاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي وفهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف أبو بكر بن خليفة الاموي الاشبيلي نشرها المستشرقان الاسبانيان كوديرا وريبرا (مجريط) F. Codera et J. Ribera : Bibliotheca Arabico-Hispana (Madrid) (٣٦) المكتبة العربية الصقلية لميشل آماري (ليبسيك) (Leipzig) M. Amari : Bibliotheca arabo-sicula (٣٧) محاضرة ابن زيدون لأحمد زكي باشا نشرت في السنة الثانية من مجلة البيان (مصر) (٣٨) السفر إلى المؤتمر لأحمد زكي باشا ايضاً (٣٩) قصيدة ابن عبدون وشرحها لابن بدرون (ليدن) (٤٠) رسالة ابن زيدون وشرحها للصفدي (٤١) ترجمة ابن عباد (ليدن) (٤٢) ترجمة ابن زيدون (ليدن) (٤٣) ترجمة ابن عبدون وملوك بني الافطس (ليدن) (٤٤) قاموس الأعلام لشمس الدين سامي (تركي طبع الاستانة) (٤٥) مجلة المقتطف (٤٦) مجلة المقتبس (مصر والشام) (٤٧) دائرة المعارف الاسلامية (ليدن) Encyclopédie de l'Islam, Leyden (٤٨) تاريخ مسلمي اسبانيا لدوزي (باريز) Dozy : Histoire des Musulmans d' Espagne, Paris (٤٩) التاريخ العام للافيس ورامبو (باريز) Lavisse et Rambaud : Histoire gènerale, Paris (٥٠) تاريخ العرب والمغاربة في اسبانيا والبرتقال لكوند (باريز) J. Conde : Histoire de la domination des Arabes et des Maures en Espagne et en Portugal, Paris (٥١) تاريخ العرب العام لسيديليو (باريز) : Sedillot : Histoire gènerale des Arabes, Paris (٥٢) تاريخ العرب لهوار (باريز) C. Huart : Histoire des Arabes. Paris (٥٣) عجالة في تحليل نفوس الشعوب الاوربية لفوليه (باريز) Fouillèe : Essai d'une psychologie des peuples européens. Paris (٥٤) المخطوطات العربية في الاسكوريال لهارتويغ دارنبورغ (باريز) Hartiwig Derenbourg : Les manuscrits arabes de l' Escurial, Paris (٥٥) الصنائع في اسبانيا

لكوميز مورينو (مجريط) Gômez-Moreno : El arte en Espana
(Madrid) (٥٦) الكتابات العربية في غرناطة لاميليو لافوانتي اي الكنترار
(مجريط) Emilio Lafuente y alcàntrara : Inscriptiones ar-
abes de Grenada (Madrid) (٥٧) دليل اسبانيا والبرتقال لبيدكر
(ليبسيك) Baedeker : Espagne et Portugal, Leipzig (٥٨) بحث
وصفي لمصانع العرب، تأليف رافائيل كونتروراس (مجريط) : Raphahël Contreras
Etudes descriptives des monuments arabes. Madrid
(٥٩) تاريخ الاديان العام لسلمون ريناخ (باريز) : Salomon Reinach
Histoire générale des religions, Paris (٦٠) اسبانيا في القرن
العشرين لمارفو (باريز) Marvaud : L'Espagne au XXe siécle. Pairs
(٦١) الاسبانيون والبرتقاليون في بلادهم لكيلاردي (باريز) ; Quillardet
Espagnols et Portugais chez Eux, Paris (٦٢) اسبانيا والبرتقال
مصورتان (باريز) L' Espagne et le Portugal illustrés. Paris
(٦٣) دائرة المعارف الافرنسية الكبرى (باريز) La grande encyclopédie
francaise, Paris (٦٤) معجم لاروس المصور (باريز) Nouveau Larousse
illustré, Paris (٦٥) بحث في حياة ابن زيدون لاوغست كور (الجزائر)
Auguste Cour ; Ibn Zaïdoûn, Alger (٦٦) تعليم اللغة العربية في
اسبانيا لميكائيل آسين بلاسيوس (الجزائر) M. Asin Palacios : l' ens-
eignement de l'arabe en Espagne. Alger (٦٧) معجم الكل في
واحد أو موسوعات العلوم البشرية Tout en un : Encyclopédie des
connaissances humaines (٦٨) دستور في الصنائع الاسلامية لسالادين
وميجون Saladin et Migeon : Manuel d' art musulman

(٢) تحية الاندلس

عشقتها ولم تسعدني الايام بامتاع النظر في جمالها ، واستطلعت طلع أخبارها ،

فروى الرواة عنها عجائب اقلها مما يستهوي النفوس المتمردة ، ويأخذ بجامع القلوب الجافة العاصية ، تفردت بين بنات جيلها بما خصت به من معاني الحسن والاحسان ، فكثر الخطاب والطلاب ، وهي لاتفتأ تبدي لمن أمّ حماها صنوفاً من اللطف والظرف ، وتخاطب البعيد والقريب بثغر باسم ، وترشقهم بنظرات ، لا تخلو من غمزات ، تريد بها الهزوء بنكبات الزمان ، والاستخفاف بسخافة الانسان .

عشقتها منذ عهد الصبا ، وعشق الصبا شديد ، لما قرأته الباصرة من وصف سجاياها وحملته الى البصيرة ففكرت فيه ، وتدبرت خوافيه وحواشيه ، وزادني غراماً بها ما سمعت من ان أناساً قبلي أصيبوا بما اصبت به ، وعدّوا النزول في حماها ولو ساعة سعادة العمر ، وحسنة الدهر : العشق فنون وعشقي كان لارض الاندلس ، عليها من كل عربي الف الف سلام ، على مر العصور والايام .

عشقتها لكثرة ما تلوت من آثار من درجوا على اديمها من ابنائها وغير ابنائها ، وكانت المخيلة تتصورها في مظاهر صح بعضها يوم اللقاء ، وآخر كان بالطبع كالخيال ، في الاندلس تم نحو نصف مدنية العرب الباهرة ، وقضوا في ارجائها نحو ثمانية قرون كانت بجملتها وتفصيلها عهد السعادة والغبطة ، ودور ظهور النوابغ وارباب الابداع والقرائح ، وكم من امة من امم الحضارة الحديثة على كثرة ما اقتبست واوجدت ، لم يتيسر لها حتى يوم الناس هذا ان تبلغ مكانة الاندلس فكان هذا الصقع في منقطع ارض المغرب وآخر ارض العرب بين البحرين المحيط والمتوسط برهاناً ازلياً على فرط استعداد العرب للعلوم والصناعات وناعياً على من انكروا لافراطهم في الشعوبية فضل هذه الامة على الحضارة .

اقام الغربيون ضروباً من المصانع من بيع واديار ومتاحف ومكاتب ومدارس وجسور وسدود وطرق ومعابر وتماثيل ونصب وبرك ، لكنهم لم يصنعوا على كثرة تفننهم في هذا الشأن منذ عهد اليونان والرومان ، طرزاً من البناء يكلمك ولا لسان له فيقول ، وينظر اليك فيعمل في شغاف قلبك ولا عين له فتنظر . ويطربك بتساوق نغماته من دون ما صناجة ولا وتر ولا الحان . مصانع كثيرة بقيت بقاياها في طليطلة وقرطبة واشبيلية وغرناطة سلبتها الفتن والجهل تارةً شطراً من بهائها ، وسالمتها حيناً فابقت

عليها ، أو رممت شيئاً مما اضرت به عوامل الايام وان لم تعد اليها نضرتها الاولى .

سلام على ارض طيبة خصها الخالق باجمل الهبات الطبيعية الطيبة ، فلم ينقصها زكاء تربة في نجادها ووهادها ، ولا مياهاً عذبة دافقة من هضابها على شمابها ، ولاأشجاراً باسقة وزروعاً خصبة في سهلها ووعرها ، ولااعتدال مواسم وجمال اقليم ومصحة ابدان زانها الصانع السماوي بايجاده ، كا زانها الصانع الارضي بابداعه . وما اجمل الطبيعي والصناعي ، اذا تواعدا إلى الاجتماع في خير البقاع .

ليالي الانس ، في جزيرة الاندلس ، واياسها الغر ، في سالف الدهر ، فيك قامت سوق الآداب ، بما ارتفعت به رؤوس العرب على غابر الاحقاب ، وكمل في ربوعك الذوق العربي حتى ظن بعضهم انك نسيت كل شيء ماعدا الادب ، وما هذه الآثار الأبدية الا ثمرة علمك وصناعاتك وزراعاتك : سلام على ارواح علمائك وفلاسفتك ونوابغك وادبائك وامرائك ما كان ارجح احلامهم ، يوم سنوا للعرب سنة الاخذ من السمادتين ، وشرعوا لهم شرعة المدنية المثلى ، حملوا فأجملوا من الشرق الى الغرب تعاليم في الدين والدنيا كانت صفوة العقول الى عهدهم فادهشوا من عاصرهم وخلفهم من الاجيال ، ونسجوا لهم على غير مثال نسيجاً رقيقاً ، كتبوا لهم فيه سجلاً رقت حواشيه ، ونظاماً متقناً في حكم الانسان للانسان ، يطبع في تاليه إذا تدبره طبيعة حسن الذوق والطبع ، وينشئه على ارق مثال من الخيال في الكمال والجمال . مثال حي من حضارة العرب في القارة الاوربية عامة وفي شبه جزيرة اسبانيا خاصة ، يفتخر به العرب على اختلاف اصقاعهم وحق لهم الفخر لان الاندلس العربية الاسلامية كانت وما زالت مدرسة الغرب المسيحي نزل طلابه في قرونهم المظلمة على علماء العرب فاوسعوهم من مكارم اخلاقهم واكرموا مثواهم بما علمهم ، وما اسخى العربي على طالب قراه ، والمعتصم بحماه ، فلما جاء دور الانحطاط ، وازف رحيل ذلك الرعيل ، من ارض كان الغرب كله يعدهم فيها انقل دخيل ، ابقوا لهم تلك المصانع ناطقة بفضلهم ، معلمة لهم معاني ليست في معاجم نفائسهم ، ومكذبة على غابر الايام من ينكر المحسوس ، ويغمط الحق لصاحبه ، ويستهويه الغرض ، فيشوه وجه الحق الجميل .

الى اليوم لم يزل في الغربيين اناس يصعب عليهم الاعتراف بمزية للعرب بباعث من

بواعث النفوس اللئيمة ، فلا يكادون يصدقون حتى بما ورد عن هذه الامــــة في كتبهم، دع كتبها ، من اعمال هذه الحضارة الغريبة، وما ذاك الاثر الضئيل البــــاقي من عاديات الاندلس العربية الابرهان جلي على ما كان هناك من عدل شامل ، وعقل كامل ، ونظر نافذ ، ويد صناع ، اربت على ماعمل من مثلها في سائر البقاع والاصقاع .

(٣) تقويم الاندلس

اخذت العرب اسم الاندلس من اسم سكانها الاصليين الفانداليس Vandales فقالوا فاندالسيا اوفاندالوزيا Vandalitia أو Vandalusia واطلقوا عليها اسم الجزيرة من باب التغليب فقالوا جزيرة الاندلس كما قالوا جزيرة العرب وماهي في الحقيقة الا شبه جزيرة لاتصالها من أقصى الشمال بجبال البيرنات أو الثنايا كما كان يعرفها العرب ، قدروا القسم الجنوبي من شبه جزيرة فانداليس أو ايبريا أو اسبانيا بمسيرة ثلاثين يوماً طولاً وزهاء عشرين يوماً عرضاً يحدها البحر من اطرافها الاربعة الا من الشمال الشرقي. وميزان وصف الاندلس كما قال ابن سعيد : انها جزيرة قد احدقت بها البحار فاكثرت فيها الخصب والعمارة من كل جانب .

والاندلس في عرف اهلها اليوم عبارة عن ثماني ولايات ولاية المـــرية وولاية قادش وولاية قرطبة وولاية غرناطة وولاية حولفا؟ وولاية جيان وولاية مالقة وولاية اشبيلية ومساحتها السطحية ٨٦٦٨٧ كيلو متراً مربعاً وسكانها زهاء اربعة ملايين فهي نحو خمس اسبانيا الحالية بسكانها ونحو سدسها بمساحتها السطحية . هذا مايطلق عليه اليوم اسم الاندلس بيد ان حكم العرب تجاوز ذلك الى برشلونة وما وراءها من الشرق والى لشبونة وما جاورها في الغرب ولم يبق في أيدي الاسبانيين والبرتقاليين من هذه الجزيرة التي تبلغ مساحتها زهاء نصف مليون واربعة آلاف كيلو متر مربع سوى اراض مصخرة ضئيلة من الشمال تعرف ببلاد الجلالقة وآستوريا .

فالعرب لم يملكوا إذاً الجزيرة باسرها حين افتتحوها وانما ملكوا معظمها ولذلك لاتعرف مساحة الاندلس العربية على التحقيق ويقول المسعودي ان مسيرة عمائر الاندلس ومدنه نحو من شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو من اربعين مدينة وقـــال

غيره ان في ارض الاندلس العامر والغامر فكانت من ثم مساحـــة الاندلس تختلف بحسب تغلب العرب على اعدائهم أو تغلب اعدائهم عليهم وكم من الاقاليم والمدن في الشمال والغرب والشرق دخلت مرات في حكم العرب ثم خرجت عنهم فقد كان عملها لعبد الرحمن بن معاوية في القرن الثاني ثلاثمائة فرسخ في ثمانين ثم صغرت في القرن الثامن حتى اصبحت – كما وصفها العمري – كمفحص القطاة ضيقا ، ومدرج النمل طريقاً .

لاجرم ان مقام العرب في الاندلس كان غير طبيعي لمجاورتها لأمم قوية الشكيمة مخالفة لها في الجنس واللسان والدين حتى ان عمر بن عبد العزيز لما ولى السمح بن مالك عليها امره ان يكتب اليه بصفتها وانهارها وكان رأيه انتقال اهلها منها لانقطاعهم عن المسلمين قال المؤرخ وليت الله كان ابقاه حتى يفعل فان مصيرهم الى بوار الا ان يرحمهم الله

وصف المراكشي ما كان في ايدي الاسبان والبرتقال من ارض الاندلس سنـــة ٦٢١ هـ فقال أول المدن في الحد الجنوبي الشرقي على ساحل البحر الرومي مدينـــة برشنونة (برشلونة) ثم مدينة طركونة ثم مدينة طرطوشة والمدن التي على غير الساحل في هذا الحد المذكور مدينة سرقسطة ولاردة وافراغة وقلعة ايوب هذه كلها يملكها صاحب برشنونة وهي الجهة التي تسمى ارغن . وفي الحد المتوسط مابين الجنوب والغرب مدينة طليطلة وكونكة واقليج وطلبيرة ومكادة ومشريط (مجريط ؟) ووبذ وايلة وشقوبية هذه كلها يملكها الادفنش وتسمى هذه الجهة قشتال . وتجاور هذه المملكة فيما يميل الى الشمال قليلاً مدن كثيرة أيضاً وهي سمورة وشلمنكة والسبطاط وقلمرية هذه كلها يملكها رجل يعرف بالببوج وتسمى هذه الجهة ليون . وفي الحد المغربي الذي هو ساحل البحر الاعظم اقيانس مدن ايضاً منها مدينة الاشبونة وشنترين وباجة وشنترة وشنتياقو ويابرة ومدن كثيرة يملكها رجل يعرف بابن الريق ووراء هذه المدن مما يلي بلاد الروم مدن كثيرة . ثم ذكر ما يملكه المسلمون لعهده من الاندلس فاورد حصن بنشكلة وطرطوشة وبلنسية وشاطبة وجزيرة الشقر ودانية ومرسية وغرناطة وحصون لرقة وبلش وقلية وبسطة ووادي آش والمرية وحصن منكب ومالقة والجزيرة الخضراء

وقوم القلقشندي الاندلس في المئة الثامنة فقال ان الاندلس اقامت بايدي المسلمين الى رأس الستمائة سنة من الهجرة ولم يبق منها بيد المسلمين الا غرناطة وما معها من شرق

الاندلس عرض ثلاثة أيام في طول عشرة أيام وباقي الجزيرة على سعتها بيد نصارى الفرنج وان المستولي على ذلك منهم أربعة ملوك الأول صاحب طليطلة وما معها ولقبه الادفونش سمة على كل من ملك منهم وعامة المغاربة يسمونه الفنس وله مملكة عظيمة وعمالات متسعة تشتمل على طليطلة وقشتالة واشبيلية وبلنسية وقرطاجنة وجيان وجليقية وسائر أعمالها. الثاني صاحب لشبونة وما معها وتسمى البرتقال ومملكته صغيرة واقعة في الجانب الغربي وهي تشتمل على لشبونة وغرب الاندلس. الثالث صاحب برشلونة وارغن وشاطبة وسرقسطة وبلنسية وجزيرة دانية وميورقة . الرابع بيرة وهي بين عمالات قشتالة وعمالات برشلونة وقاعدته مدينة بنبلونه ويقال لملكها ملك البشكنس .

هذا في الجملة تقويم الاندلس في القديم وكلما توغلت في سمت الشمال صعب المرور لكثرة الجبال وترامي المسافات وهي اليوم في الخطوط الحديدية سهلة في الجملة فاذا جئت من مدينة باريز وهو الطريق الذي سلكناه تصل إلى مجريط في ست وعشرين ساعة وهي ١٤٥٥ كيلو متراً ومن مجريط إلى قرطبة ٤٤٢ كيلو متراً ومن قرطبة إلى اشبيلية ١٣١ كيلو متراً ومن غرناطة إلى جبل طارق ٣٠١ كيلو متر ويتأتى اختصار هذه المسافات إذا كانت القطر تقصد إلى البلد مباشرة بدون تنقل أو تعاريج ولكن تقل فيها الخطوط المستقيمة والقاطرات .

(٤) فتح الاندلس

لما فتح موسى بن نصير مولى بني أمية افريقية وما حولها أي تونس وما وراءها سنة ثمان وسبعين للهجرة وبلغ طنجة سار يريد مدائن على شط البحر وفيها عمال صاحب الاندلس قد غلبوا عليها وعلى ما حولها . وكان يليان أحد ملوك الاندلس لموجدة وجدها على بعض الملوك من قومه في تلك البلاد بعث بالطاعة لموسى ، واقبل به حتى أدخله المدائن بعد أن اعتقد لنفسه ولأصحابه عهداً رضيه ، واطمأن إليه ، ثم وصف له الأندلس ودعاه إليها فبعث رجلاً من مواليه يقال له طريف في أربعمائة رجل ومعهم مائة فارس فسار في أربعة مراكب حتى نزل جزيرة سميت به لنزوله فيها وكانت هذه الجزيرة معبر مراكبهم ودار صناعتهم فأغار على الجزيرة فأصاب شيئاً ورجع سالماً

وذلك سنة احدى وتسعين . ثم دعا موسى مولى له يقال له طارق بن زياد فبعثه في سبعة آلاف من المسلمين جلهم من البربر والموالي ليس فيهم عرب الا قليل فدخل في تلك السفن الأربع في سنة اثنتين وتسعين وأخذت السفن الأربع تختلف بالرجال والخيل وضمهم إلى جبل على شط البحر منيع فنزله وسمي به جبل طارق والمراكب تختلف حتى توافى جميع أصحابه .

ولما بلغت ملك الاندلس رذريق صاحب طليطلة غارة طريف على الاندلس جمع جموعة ، قيل مائة ألف أو شبه ذلك ، فبعث موسى على سفن كثيرة كان عملها بخمسة آلاف مقاتل فتوافى المسلمون بالاندلس عند طارق اثني عشر ألفاً ومعهم يليان في جماعة من أهل البلد يدلهم على العورات ويتجسس لهم الأخبار فالتقى رذريق صاحب طليطلة وطارق بن زياد بموضع يقال له البحيرة فانهزم رذريق ثم مضى طارق إلى مضيق الجزيرة فمدينة استجة وحارب فل العسكر الأعظم وهزمه ثم ورد طارق عيناً من مدينة استجة على نهرها على أربعة أميال فسميت العين عين طارق وفرق جيشه فأرسل فرقة إلى قرطبة وأخرى إلى رية وثالثة إلى غرناطة وسار هو في عظم الناس يريد طليطلة ففتحت كلها وكذلك مدينة تدمير وأسر أحد ملوك الأندلس ومنهم من اعتقد على نفسه أماناً ومنهم من هرب إلى جليقية في الشمال ثم سار طارق حتى بلغ طليطلة وخلى بها رجالاً من أصحابه فسلك إلى وادي الحجارة ثم استقبل الجبل فقطعه من فج يسمى فج طارق .

وفي سنة ثلث وتسعين دخل موسى بن نصير في ثمانية عشر ألفاً من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر وقد بلغه ما صنعه طارق بن زياد فحسده وخشي أن ينال شرف الفتح دونه أمام الخليفة من بني أمية . فلم يلبث أن فتح من المدن ما لم يفتحه طارق مولاه فافتتح مدينة شذونة وقرمونة واشبيلية وحاصر هذه أشهراً فهرب أهلها إلى مدينة باجة فمضى موسى إلى مدينة ماردة وقاتلهم عليها أشهراً فصالحه أهلها على أن جميع أموال القتلى وأموال الهاربين إلى جليقية للمسلمين وأموال الكنائس وحليها له ثم افتتح سرقسطة ومدائنها .

ذكروا أن المسلمين انتهوا إلى مدينة لوطون قاعدة الافرنج ولم يبق لأهل الاسلام شيء لم يتغلبوا عليه مما وراء ذلك الاجبال قرقوشة وجبال بنبلونة وصخرة جليقية فاما

الصخرة فلم يبق فيها مع ملك جليقية إلا ثلثمائة رجل تلفوا بالموت والجوع والحصار فلما لم يبق منهم إلا ثلثمائة رجل ورأى ذلك المرتبون على حصارهم استقلوهم فتركوهم فلم يزالوا يزدادون حتى كانوا سبب اخراج المسلمين من جليقية وهي قشتيلية .

هذه زبدة مما قاله المؤرخون في فتح الأندلس ولا شك أن قرب سواحلها من شواطىء افريقية قد ساعد العرب كثيراً على هذا الفتح فان المجاز أو الزقاق كما كان يسميه العرب بين البرين بر العدوة [١] وبر الأندلس قريب جداً يسهل معه نقل الذخائر والجيش من افريقية وذلك لأن الزقاق في موضع يعرف بجزيرة طريف من بر الأندلس يقابل قصر مصمودة بازاء سلا في الغرب الأقصى وعرضه اثنا عشر ميلا ومن الجزيرة الخضراء في الأندلس إلى مدينة سبتة ثمانية عشر ميلا . والباخرة تقطع المسافة اليوم من الجزيرة الخضراء أو جبل طارق إلى طنجة فرضة الغرب الأقصى في نحو ثلاث ساعات.

وأنت ترى ان معدات الفتح عند العرب كانت قليلة ومع هذا استصفوا الأندلس في مدة وجيزة وذلك لأن الاختلاط القديم المستحكم للجوار بين أهل الأندلس وبين أهل شمالي افريقية وتغلب الأندلسيين أحياناً على بلاد البربر أي الغرب الأقصى والأوسط قد هيأ لسكان البلاد بل لقوادها وحكامها من العرب أن يعرفوا معالم الأندلس ومجاهلها ويقفوا على مواطن الضعف من حكوماتها فقد جاؤوها والاختلاف بين ملوكها على أشده والبلاد قد جاعت قبل مجيئهم ثلاث سنين (من سنة ثمان وثمانين إلى سنة تسعين) ثم وبئت حتى مات نصف أهلها أو أكثر . وإذا صح أن الملك الأعظم في طليطلة جيش على العرب مئة ألف مقاتل وهو مستبعد فان جيش موسى بن نصير البالغ اثني عشر ألفاً قد تغلب عليه لا بعدده بل بما للعرب من الاضطلاع بأمور الحرب هذا وأهل البلاد كانوا

(١) العدوة بضم العين المكان المتباعد ويطلق العرب بر العدوة على ما سامت الأندلس من شمالي افريقية وبعد عن بلادهم ويعنون بالعدوة المغرب الأقصى والأوسط والأدنى أي مراكش والجزائر وتونس . وقال صاحب التاج وبر العدوة بالأندلس وإليه نسب شهاب الدين بن ادريس العدوي عن قاسم بن اصبغ قيده الرشاطي. ولعل العدوة هذه بلدة من بلاد الأندلس ليست مشهورة والمشهور أن العدوة كما قلنا وايده علماء الجغرافيا من العرب .

في الجملة يريدون الخلاص مما هم فيه من سوء الحال ولا سيما اليهود فانهم كانوا قبل بضع سنين قد ذاقوا الأمرين من حكوماتهم ومواطنيهم المسيحيين فلما جاء العرب الفاتحون كانوا أدلاءهم وأكبر رده لهم لعلمهم بأنه ينفس خناقهم بالفاتحين وكان المسلمون كلما دخلوا بلداً جعلوا نصف حاميته من اليهود والنصف الآخر منهم ثقة في أبناء اسرائيل وضعها المسلمون فيهم مدة كونهم في الأندلس .

تولى البلاد المفتوحة عمال الدولة الأموية في الشرق وتعاقب عليها قوادهم ومواليهم منذ سنة ٩٢هـ وخطب باسم خلفائهم على منابرها ثم خطب مدة قليلة للعباسيين[1] بعد سقوط دولة الأمويين بالمشرق حتى إذا كانت سنة ١٣٨ جاء من الشرق هارباً عبد الرحمن ابن معوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المسمى بالداخل فتغلب بواسطة جماعة من أهل بيته وموالي آل مروان وبما له من العصبية في قبائل زناتة أخواله وكانت والدته منهم حتى استولى على الأندلس وبذل أهلها له الطاعة فاصلح من شأنها ورفع وأبناؤه وأحفاده من بعده شأن خلافتهم هناك وأجمعت القلوب على حبهم وقل المنتقضون على ملكهم المتوثبون على سلطانهم . ولقد أنصف المنصور العباسي عندما لقب عبد الرحمن الأموي بصقر قريش لأنه « عبر البحر وقطع القفر . ودخل بلداً أعجمياً مفرداً ، فمصر الأمصار ، وجند الأجناد ، ودون الدواوين ، وأقام سلطاناً بعد انقطاعه ، بحسن تدبيره وشدة شكيمته » .

انقرض ملك بني مروان من الأندلس سنة ٤٠٧ هـ على رأس مائتي سنة وثمان وستين سنة وثلثة وأربعين يوماً بعد أن جمعوا الشمل ورأبوا الصدع وأحيوا المعالم

(١) دعا عبد الرحمن بن معاوية لنفسه عند استغلاظ أمره واستيلائه على دار الامارة قرطبة ويقال انه قام أشهراً دون السنة يدعو لأبي جعفر المنصور متقيلاً في ذلك يوسف الفهري الوالي قبله إلى أن أفرد نفسه بالدعاء . ويقال ان عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم أشار عليه بذلك عند خلوصه إليه فقبله إلا أنه لم يعد اسم الامارة. وسلك الأمراء من ولده سنته في ذلك إلى عهد عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله فهو الذي تسمى بالخلافة بعد سنين من سلطانه ودعي بأمير المؤمنين لما استفحل أمره واستبان له ضعف ولد العباس وانتشار سلطانهم بالمشرق وذلك في آخر خلافة المقتدر بالله جعفر بن أحمد المعتضد منهم ذكر ذلك أبو مراون ابن حيان مؤرخ الأندلس .

ونشروا العدل وخدموا الحضارة وكانت ايامهم اعراساً وافراحاً فتفرق الملك بايدي ملوك الطوائف فكان « كل ملك لما بيده فضبط اشراف العمالات ازمة امورهم وركبوا ظهور غرورهم وتنافسوا في انتحال الالقاب السلطانية فأتوا من ذلك بكل شنيعة » إلى ان قام رأس المرابطين وامير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني صاحب المغرب الاقصى واعاد للبلاد مع ابنه علي بن يوسف سالف نضارتها ودعا للخلافة العباسيـــة على منابر الاندلس ولم تزل الدعوة للعباسيين وذكر خلفائها على منابر الاندلس والمغرب إلى أن انقطعت بقيام ابن تومرت مع المصادمة في بلاد السوس .

تنفس خناق البـــلاد بالقوة الجديـــدة التي جاءت بها دولة المرابطين لشد ازر المسلمين في الاندلس كما عادت اليهم بعض القوة على عهـــد الموحدين وكان هؤلاء لايتوفقون عن نجدة اخوانهم في الاندلس حتى ان الخليفة المنصور من الموحدين لما دنت وفاته جمع بنيه والموحدين ووصاهم بوصايا منها: ايها الناس اوصيكم بتقوى الله « واوصيكم بالايتام واليتيمة » اراد بالايتام اهل جزيرة الاندلس وباليتيمة بلاد الاندلس إلا أن أحوال الجزيرة اختلت في أواخر دولة امير المسلمين علي بن يوسف فاوجب ذلك تخاذل المرابطين وتواكلهم وميلهم الى الدعة وايثارهم الراحة وطاعتهم النساء فهانوا على اهل الجزيرة وقلوا في اعينهم واجترأ عليهم العدو واستولى النصارى على كثير من الثغور المجاورة لبلادهم وكادت الاندلس تعود الى سيرتها الاولى بعد انقطاع دولة بني امية فاستدعى عقـــلاء الجزيرة بني مرين من بر العدوة فجاءهم اميرها سنة ٦٥٨ في جيش ضخم فملك بالاندلس ثلاثة وخمسين مسوراً مابين مدن وحصون وهو أول من ملك العدوتين من بني مرين وجاهد الفرنج فدوخ بلادهم وكانت قبل جوازه الى الاندلس تستطيل على المسلمين وملكوا قواعد الاندلس واكثر حصونها مثل قرطبة واشبيلية وجيان وشاطبة ودانية ومرسية وغيرها ولم تنتشر للاسلام راية منذ وقعة العقاب[1] سنة ٦٠٩ الى ان جاءت رايته وكانت

(١) هذه الواقعة وقعة العقاب هي المعروفة عند الافرنج باسم لاس نافاس دي تولوزا Las Navas de Tolosa وهي قرية من عمل ولاية جيان اشتهرت بانتصار ملوك ارغن وقيشتالة ونافار على العرب سنة ١٢١٢ — ٦٠٩ هـ وقد ضربوا العرب ضربة لم يتمكنوا بعدها من التوغل في بلاد اسبانيا .

الحروب والغزوات متصلة بين العرب واعدائهم في القرن الخامس والسادس والسابع وكثيراً مايؤدي ملوك العرب الجزية للافرنج بعد ان كان هؤلاء في القرن الاول والثاني والثالث والرابع يؤدون إلى العرب الجزية . ولما اغلظ ابن تاشفين لالفونس الكلام في المكاتبة قال هذا : « بمثل هذه المخاطبة يخاطبني وانا وابي نغرم الجزية لاهل ملته منذ ثمانين سنة وكان ذلك سنة تسع وتسعين واربعمائة »

وبعد ان زال حكم الموحدين من اسبانيا دخلت في حكم محمد بن يوسف بن هود من بطليوس إلى مرسية وقرطبة واشبيلية سنة ٦٢٦ ولما هلك التف المسلمون حول محمد بن يوسف بن الاحمر من أسرة بني نصر فاستولى على الاندلس سنة ٦٢٩ فدام فيه وفي أعقابه نحو قرنين ونصفاً كان الضعف رائد دولتهم أولاً حتى لقد صالح ابن الاحمر الفنس ملك اسبانيا سنة ٦٦٥ على ان اعطاه نحو اربعين مسوراً من بلاد المسلمين من الشرق فقال ابو محمد الرندي يرثي الاندلس ويستصرخ اهل العدوة من بني مرين قصيدته المشهورة التي يقول فيها :

دهى الجزيرة خطب لاعزاء له هوى له أحد وانهد ثهلان
اصابها العين في الاسلام فامتحنت حتى خلت منه اوطان وبلدان
فسل بلنسية ماشأن مرسية واين شاطبة ام اين جيان
واين قرطبة دار العلوم فكم من عالم قد سما فيها له شأن

وعاد امر المسلمين فضعف وبنو الاحمر آخر ملوك الاندلس يستصرخون الموحدين من أهل العدوة فينجدونهم حتى رسخت اقدام الملوك من بني الاحمر أو بني نصر في بقعة صغيرة من البلاد جعلوا غرناطة عاصمتها ولما انقرضت دولة الموحدين اعتمد بنو الاحمر على قوتهم في حماية سلطانهم حتى ضعف امرهم وصحت نية الاسبان على اخراجهم من شبه جزيرة اسبانيا باتفاق ايزابيلا الكاثوليكية وفرديناند واتحاد ملوك ارغن وقشتالة ونافار تحت سلطان واحد وكان خروج آخر ملك من بني الاحمر من بلاد الاندلس سنة ٨٩٧ ﻫ ويومئذ انتهى حكم العرب هناك .

★ ★ ★

(٥) عمران الاندلس

في ارض اندلس تلتذ نعماءُ ولا يفارق فيها القلب سراءُ
وليس في غيرها بالعيش منتفع ولا تقوم بحق الانس صهباءُ
واين يعدل عن ارض يحض بها على الشهادة ازواج وابنــاءُ
واين يعدل عن ارض تحث بها على المــدامة امواهٌ وافيـاءُ
وكيف لايبهج الابصار رؤيتها وكل روضبها في الوشي صنعاءُ
انهارها فضة والمسك تربتهـا والخز روضتها والدار حصباءُ
وللهواءِ بها لطف يرق بــه من لايرق وتبدو منه اهواءُ
ليسالنسيم الذي يهفو بها سحراً ولا انتشار لآلي الطـل انداءُ
وانما ارج النـد استثار بهـا في ماءِ وردفطابت منه ارجاءُ
واين يبلغ منهـا ما اصنفه وكيفيحوي الذيحازته احصاءُ
قدميزت منجهاتالارضحينبدت فريدة وتولى ميزها المــاءُ
دارت عليها نطاقاً ابحر خفقت وجداً بها اوتبدت وهي حسناءُ
لذاكيبسم فيها الزهر من طرب والطير يشدو وللاغصان اصغاءُ
فيها خلعت عذاري مابهاعوض فهي الرياض وكل الارض صحراءُ

« ابن سفر المريني »

كانت شبه جزيرة اسبانيا في عمرانها قبل الفتح العربي منحطة عن عامة الممالك الاوربية . حكمها الرومان وكانوا من خير من شاد بنياناً ، واقام في المعمور عمرانا ، ومع هذا لم ينلها من عنايتهم كبير امر ، فلما جاء العرب الفاتحون في العقد الاخير من المئة الاولى كان عهدهم الاول عهد الفتوح على نحو ماكان عهدهم في الشام فلما التفتوا فيه إلى تجويد البناء حتى إذا ورد على الاندلس من الشرق بل من دمشق عبد الرحمن الداخل الاموي سنة ١٣٨ ﻫ نقل مع جماعته اسلوب امته في العمران ، وكان سبقه اليها جمهور من الشاميين ، نقلوا اسلوب بنائهم وعاداتهم واصول معايشهم ، فاعتمدوا في بناء قصورهم ودورهم على الهندسة الدمشقية في الغالب ، وجعلوا في الدور فناءً أو

صحناً في وسطه بركة ماء وعلى جانبيها الازهار والاشجار ، وتقوم بعض طنوف الطبقة الثانية من البناء على عمد من الرخام وغيره ، والدور طبقتان فقط طبقة سفلية للصيف والطبقة العلوية للشتاء ويدخل إلى الدار من دهليز . رسم خطط هذه الدور بادىء بدء مهندسون من الروم ثم اصبحت مع الزمن هندسة خاصة للعرب على ما كان شأنهم في الشام.

يقول بعضهم ان العرب لما وصلوا اسبانيا لم يكن لهم هندسة مخصوصة فقلَّ فيهم كالاسبانيين الابداع والايجاد ولكنهم تفننوا في النقش ، واقدم مصانعهم مسجد قرطبة انشأه عبد الرحمن الداخل سنة ٧٨٥ م والنقوش فيه والفسيفساء من عمل صناع من الروم ومن هنا نشأت الصناعة العربية وتمثلت في المساجد والبيع والقصور والحمامات والابراج والابواب الحصينة . ومن اغرب المباني مسجد طليطلة مثال الهندسة العربية وقاعدة منارة مسجد اشبيلية وكثير من الارتجة والابواب . ولما استولى الاسبان على اشبيلية جعل ابن الاحمر غرناطة عاصمته فقام قصر الحمراء وظهرت بدائعه وهو اجمل زهرة من زهرات الصنائع النفيسة التي تفتقت اكامها بايدي العرب . وظلَّ صناع العرب في اسبانيا قروناً بعد ذهاب دولتهم يعملون في المصانع الاسبانية ويدخلون في هندستها بعض اساليبهم فاثروا بهـا تأثيراً عظيماً في الابنية المبنية على الاسلوب الغوطي والايطالي (الرنيسانس) .

ولقد كان لملوك الاندلس وامرائها وقوادها وعامة من تولوا خطط الحكم والقضاء والحسبة غرام باستكمال فخامة الملك وتشييد القصور ، وجلب المياه ، وبناء الارصفة ، واقامة القلاع والحصون . بدأ بذلك عبد الرحمن الاول وجرى آل بيتـه وعظماء مملكته على قدمه في هذا الشأن ومنهم عبد الرحمن بن الحكم (٢٣٨) الذي كان « أول من جرى على سنن الخلفاء في الزينة والشكل وترتيب الخدمة وكسا الخلافة ابهة الجلالة فشيد القصور ، وجلب إليها المياه ، وبنى الرصيف ، وعمل عليه السقائف ، وبنى المساجد الجوامع بالأندلس ، وعمل السقاية على الرصيف ، وأحدث الطرز ، واستنبط عملها ، واتخذ السكة بقرطبة ، وفخم ملكه ، وفي أيامه دخل الأندلس نفيس الوطاء وغرائب الأشياء » . ومنهم عبد الرحمن بن محمد الذي قال فيه صاحب العقد : « ان الملوك لم تزل تبني على أقدارها ويقضى عليها بآثارها ، وانه بنى في المدة القليلة ما لم تبن

الخلفاء في المدة الطويلة نعم لم يبق في القصر الذي فيه مصانع أجداده ، ومعالم أوليته ، بنية إلا وله فيها أثر محدث إما تزييد أو تجديد

كانت البلاد نسقاً واحداً في العمران حتى كان للقرى أيضاً نصيب وافر من العناية ولذلك كثر عددها حتى قالوا إنه كان على الوادي الكبير فقط أربعة عشر ألف قرية فكنت على رواية ابن سعيد إذا سافرت من مدينة إلى مدينة لا تكاد تنقطع من العمارة ما بين قرى ومياه ومزارع والصحاري فيها معدومة أي في القسم الذي تأصل فيه حكم العرب ومما اختصت به أن قراها في نهاية من الجمال لتصنّع أهلها في أوضاعها وتبييضها لئلا تنبو العيون عنها بل هي طراز من مناظر قد اتقنت بالبياض والزخرفة تخطف بالأبصار عند وقوع شعاع الشمس عليها

لاحت قراها بين خضرة ايكها كالدر بين زبرجد مكنون

قويت حركة العمران بالطبع حيث كان يقيم الخليفة والسلطان ولما ابتنى عبد الرحمن ابن محمد في غربي قرطبة مدينة الزهراء خط فيها الأسواق وابتنى الحمامات والخانات والقصور والمتنزهات واجتلب إلى ذلك بناء العامة ، وأمر مناديه بالنداء ، ألا من أراد أن يبني داراً أو يتخذ مسكناً بجوار السلطان فله أربعمائة درهم فتسارع الناس إلى العمارة فتكاثفت وتزايدوا فيها فكادت أن تتصل الأبنية بين قرطبة والزهراء والمسافة أربعة أميال .

كان بناء الأندلسيين بالآجر والحجر وكان الحجر عندهم أنواعاً منه الخمري والأحمر والأبيض والجزع وكانوا ينحتون السواري والعمد من مقالعهم على الأغلب وقيل ان سواري جامع قرطبة جلبت من البيع القديمة من جنوبي فرنسا وايطاليا ومن افريقية والاستانة وسواء قطعت من مقالع الأندلس أو جلبت من القاصية فان في ذلك فضلاً كبيراً للعرب يدل على معرفتهم الأشياء الحسنة وقدرتهم على حمل هذه الأثقال في البر والبحر مع قلة الآلات الرافعة وقصور علم الحيل عما هو عليه في عصرنا

قال أحد الباحثين من الفرنجة : في اسبانيا ميدان لدرس الصناعة العربية المغربية منذ بدايتها وكان التردد بادىءَ بدء بادياً عليها إلى أن ظهرت في مظهرها هذا على غاية من الغرابة والظرف . وقال بعضهم إن الهندسة العربية قد أفرغت جهدها في

قصور الحمراء وأتت ما وسعتها الاجادة والظرف بأمثلة تأخذ بمجامع القلوب في العمران ولو لم يكن جل الاعتماد على الخشب والجص في البناء وهما مما تقل متانته لأتت منهـا آثار خالدة أكثر مما أتت ولكن بمجوعها مدهش غريب يجد خيمة العرب الرحل في البادية . ومن أغرب ما اصطنعوه عمل المقرنص في القباب مؤلفاً من عدة قباب صغرى متناسقة بدون أن ترى اللحمة بينها والنقش فيها قليل إلا ما كان من جمل نقشت بالحروف الكوفية أو العربية المشبكة الأندلسية

قلنا ومعظم الآثار التي بناها الاسبان بعد سقوط آخر دولة الاندلس كانت بايدي صناع من العرب ابقوا عليهم لقيام مصانعهم وذلك لأن الاسبان كانوا متأخرين في الهندسة والصنائـع النفيسة وأهم ما يتنافس فيه الاسبان إلى اليوم القيشاني فانك تراه في كل بيت وكنيسة وحائط ونزل ومدرسة ومتحف وهو أنواع منه ما يجعل على الأرض ومنه ما يجعل على طول قامة الانسان في الجدران المختلفة والآجر عندهم شـأن عظيم في البناء وقد يدوم قروناً كما شاهدنا ذلك في خرائب الفسطاط بمصر وأكثره من بناء القرن الأول للهجرة

يصعب تعداد المصانـع التي شادها العرب في أوقات مختلفة في الاصقاع التي نزلوها كما يصعب اعطاء حـكم تام على معالمهم لأن كثيراً من بنيان الأندلس عور بتـداول الأيام فصح في مدنها ودساكرها قول أحد الاندلسيين في بلنسية وقد عاث العـدو فيها

عاثت بساحتك الظبا يا دار ... ومحـا محاسنك البلى والنار
فاذا تردد في جنابك ناظر ... طال اعتبار فيك واستعبار
أرض تقاذفت الخطوب بأهلها ... وتمخضت بخرابهـا الأقدار
كتبت يد الحدثان في عرصاتها ... لا أنت أنت ولا الديار ديار

للبحث صلة

محمد كرد علي

وصف ربوة دمشق

ومتنزهاتها وميدان القبق

وقفت في كتاب (ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر) لابن طولون الحنفي الصالحي المتوفى سنة ٩٥٣ هـ على فصل بديع استطرد إلى ذكره في وصف ربوة دمشق ومتنزهاتها وما كانت عليه من العمران لعهده ووصف ميدان القبق ودقائق ما فيه . فرأيت أن أنقله إليكم ليكون تتمة لما كتبه صديقنا الكاتب الكبير الأستاذ معلوف .

وانما دعاني لذلك أمران « الأول » اشتمال هذا الفصل على فوائد يعز العثور عليها كل حين حتى في كتب البلدان فلا سبيل إليها إلا بانتجاشها من مثل هذه الدفائن وهو شيء موكول للمصادفات . « والثاني » ان ما بأيدينا من معاجم البلدان كتب قبل القرن العاشر الهجري فالوقوف على شيء من وصف العمران حوالي ذلك العصر مما يصبو اليه الباحثون في هذا الموضوع . واليكم نص ماذكره في ترجمة حيدر بن محمد بن جمال العصر أبي ذر[١] الشافعي قال :

« وسألني عن متنزهات دمشق فقلت له أعظمها الربوة وكان بها دكاكين لسمانين وبواردية وأقسماوي وفقاعي وفرن وتنور وأربعة شرائحية وطباخ غير من يأتي اليها من البساتين وغيرها من المتعيشين في الطبالي وغيرها .

وكان بها اربعة مساجد وجامع بخطبة ومدرسة يقال لها المضجية[٢] موقوفة على مدرّس حنفي وطلبته . وكان بها الحمام المشهور فانه من محاسن دمشق ببركة ناهضة وشبابيك شرقية وشمالية وقبلية وغرف . وكان بها ميدان شرقي نهر بردى على الارض وغربيه يصعد اليه بسلم حجر . وكان بها التخوت « كذا » وهو قصر مرتفع على سن جبل به قاعة لبوابة وطبقات على هيئة الايوان ينظر الجالس هناك من مسافة يوم لو لم يكن حائل وبه مأذنة ومسجد وميضأة وتحته نهر ثورا وفوقه نهر يزيد ويصعد اليه من سلم حجر بناه نور الدين الشهيد للفقراء فان الاغنياء لهم قصور . وكان بها خمسة مقاصف اثنان شرقي نهر بردى وثلاثة غربيه وفي كل واحد منها بيت المقاصفي وعنده فرش

(١) في نسخة الاصل للمؤلف النصراباذي نسبة الى نصراباذ في العجم (٢) في الاصل المنبجية .

ومخاد ولحف للمتنزهة . وكان بها مكانان لعينين إحداهما تسمى الملثم قبال المهد الشرقي والاخرى السخنة شمالي المقاصف الغربية وعليها قبة بين نهر بردى والقنوات وهي من العجائب فان ماءها فاتر صيفاً وشتاءً وشماليها اربع عيون تبان عند احتراق الماء ثنتان ماؤهما بارد وثنتان ماؤهما سخن . وكان بها خانان لربط الدواب قبليها . وكان بها ميضأة كبيرة شمالي المهد الشرقي على حافة بردى وهذا النهر أصل أنهارها السبعة والثاني يزيد والثالث ثورا والرابع بانياس والخامس القنوات والسادس الداراني والسابع المزي . وكان بها العاشق والمعشوق وهما برجان للحمام في لحف الجبل الغربي وشماليها برج عتيق يسمى المعذول .

وكانت هذه الربوة في أول الزمان تقصد بالزيارة ثم تغير أمرها وصار يقع بها المناكر وتقصدها الناس يوم السبت والثلاثاء دائماً وبعض الناس يوم الاحد والاربعاء ويقال لهما المحفل تطلع اليها فيها الحلقية والمشعبذون والخايلية[1] والحكوية وهذا في ايام الصيف وأما[2] الشتاء فلها ناس تسمى المجاورين ومع ذلك لاتخلو من الصلاة جماعة في المساجد وغيرها . ثم خربت ثم عمرت وهكذا مراراً والآن بقيت مأوى الوحوش . وفي الوادي شرقيها في طريقها من جهة المدينة قطية وقطية مكان كان به سمان وشرائحي ومقاصفي وقد خربت . وشرقيها في الطريق المذكور الجبهة وهو مكان على حافة نهر بردى به مسجد ودكاكين للمعيشة ومقصف له مقاصفي عنده فرش ولحف وبركة لها في الربيع وردية « كذا » تقصد وعلى كتفها حمام النزه خربت وعمرت مراراً والآن خراب . وشرقيها في الطريق المذكور المرجة وبها القصر الابلق . وكان من عجائب الدنيا يشرف على الميدان الاخضر شرقيه أنشأه الملك الظاهر ركن الدين عقب رجوعه من حجته في المحرم سنة ثماني وستين وستمائة كذا رأيت هذا التاريخ أعلى بابه الشمالي وعلى أسكفته ضرب خيط من رخام أبيض ووسطه مكتوب عمل ابراهيم بن غنائم المهندس وبابه الآخر ينفذ الى الميدان . وفي واجهته البلقاء ثلاثون شباكاً سوى القماري ووسطه قاعة بأربعة لواوين[3] قبلي وشمالي في صدرهما شاذروانان وغربي وشرقي في صدر كل منهما ثلاثة شبابيك فالغربيات مطلات على الطريق الآخذ

(١) هم اللاعبون بخيال الظل . (١٢) في نسخة الاصل « في الشتاء » (٣) أي اربعة إيوانات أو أواوين

إلى الحمام وتربة الصوفية والشرقيات مطلات على الميدان : وعلى واجهته الشرقية مائة أسد « منزلة صورها[١] » وعلى الشمالية اثنا عشر أسداً منزلة صورها بابيض في أسود وشماليه على حافة نهر بردى قصر شيخنا الزين ابن العيني وقبليه أعلى الكحجانية (كذا)[٢] قصر شيخنا قاضي القضاة الشهاب ابن الفرفور وغربيه قصر شيخنا الشهاب ابن الصميدي وكان لكل من هذه القصور بوابون صيفاً وشتاءً وقد خرب جميع ذلك في الدولة العثمانية ولم يبق الا واجهة القصر الابلق الشرقية . وكان من ثم الى الربوة من جهتي واديها قصور وجواسق . وابنية لم يبق منها إلا القليل .

وفي هذه المرجة جرت العادة بان ينصب فيها الذي يرمى عليه النشاب على ظهور الخيل وصفته انه يشتمل على خمس قوائم الاولى المسماة بالركيزة وهي تدق في الارض بدقاق[٣] لانها كالخازوق لكن في رأسها حديدة مركبة صفة الطوق إن لم توثق بها والا تنكسر وفي اسفلها حديدة كصفة سن الرمح لكن أغلظ منه بشيء يسير ويكون دقها في الارض قدر ذراع . والثانية السفلى وطولها سبع أذرع ونصف وعلى رأسها حديدة مجوفة مركبة فيه طولها نصف ذراع منها مجوف بغير خشب ربع ذراع ويكون رأس الخشبة المركبة عليه هذه الحديدة مدوراً وغلظ هذه الخشبة وجنسها كصفة القنطارية التي يلعب بها وتسمى الرمح ومن جنسه وفي أسفلها بخش فيه سير يربط في رأس الحديدة التي في أسفل الركيزة ثم يربط على رأسها وفي اسفل الركيزة سير يربط به حبل البكرة والا ماتقف ويوثق الرباط والا يحصل فساد في القبق . والثالثة غلظها كغلظ الاولى وطولها سبعة أذرع ونصف وربع يركب منها في الحديدة المجوفة التي هي في القائمة الثانية قدر مايصل وصفة هذه القائمة كالقنطارية لكنها أدق من الثانية . والرابعة وتسمى قائمة البكرة طولها كطول الثالثة وفي أسفلها حديدة مجوفة مركبة مثل الاولى وفي رأسها بكرة وفي البكرة حبل وفي قائمة البكرة رزة حديد في وسطها وبعدها رزة ثانية بين الرزتين ثلاث أذرع والحبل الذي في البكرة داخل في الرزتين وفي أسفل القائمة بعد الرزتين

(١) الظاهر ان في العبارة سقطاً وان الساقط بعد لفظ صورها « بأسود في أبيض » وفي نسخة الاصل لاتوجد هذه العبارة « منزلة صورتها » (٢) وفي نسخة الاصل الكجحانية (٣) في الاصل دقماق

أطناب من قنب اربعة ان لم يدقوا (كذا) في الارض بعد ان يقام القبق والا يخاف عليه من السقوط بالهواء وطول كل باع أحد عشر باعاً (١) . والخامسة قائمة دقيقة يوضع فيها القبق بعد الرابعة طولها سبع أذرع توضع في رأس القائمة التي فيها البكرة ثم يربط الحبل في ثلث القائمة وفي أسفلها ويجر في البكرة بعد وضع القبق . وارتفـــاع القبق جميعه ثلاثون ذراعاً بالحديد . وأما صفة الرمي عليه فهي ان يمسك المعلم عمود القبق وأربعة أنفس يمسك كلٌ واحد منهم الحبل الذي هو طنب القبق ثم تجر العصا المركبة على القبق بالحبل المركب في البكرة ويربط على الركيزة ويقف الراكب الرامي في رأس الميدان وطوله خمسة وعشرون فرساً[٢] وهو لابس مطري[٣] ويجعل في بند وسطه ثلاثة عيدان من نشاب القبق ويعلق القوس في ذراعه الشمال وهو ماسك اللجام ويسوق الفرس في قوة مشواره[٤] ويشد روحه ويحزق أفخاذه على أجناب الفرس ويبعد المهماز عنها ويأخذ القوس والنشاب بسرعة ويكبر[٥] واذا قرب الى القبق بقدر طول قوس أو أنفس[٦] ويمد[٧] ويطوي[٨] وكلّ ذلك في (مشوار) فرسه وهو سائق ثم يصوب بيده الشمال والاسناد تارة بها وتارة باليمين ثم يعود إلى رأس الميدان وهو سائق ويأخذ القوس والنشاب سريعاً ويكبر[٩] فاذا وصل إلى قرب القبق يميل ويمد تحت الركاب وينبرم[١٠] ويدور وسطه ويجعل مرفقه على مقدم الامازي[١١] ويدور يديه ويقلب قبضته الى فوق جهة القبق ويدور وجهه ويرمي على القبق ادتندى[١٢] رأس الفرس القبق وشرطه نزول السهم تحت القبق وكل ذلك وهو سائق في (مشوار) واحد ويكرر الرمي على قدر خاطره[١٣] ويختمه بثلاثة أسهم (الاول) من قبل أن يصل إلى القبق ويكبر ويرمي السهم (الثاني) تحت القبق ويكبر ويرمي السهم (الثالث) من أعلى

(١) لعل الصواب احدى عشرة ذراعاً (٢) لعل الصواب « قوساً » يريد رمية قوس كما يفهم من عبارته الآتية . وهكذا في الاصل (٣) أُصطري في نسخة الاصل ولعلها خطري (٤) عامية بمعنى الشوط (٥) في الاصل ويكابر (٦) عامية بمعنى « اكثر » (٧) لعل في العبارة سقطاً أو تحريفاً ويظهر انها تستقيم باسقاط الواو التي قبل « يمد » (٨) لعلها « يصوب » (٩) ويكابر (١٠) ينفتل (١١) وفي الاصل الا مازيم ولعلها لا بازيم (١٢) في الاصل تندي ولعله « إذا عدّى » كما سيأتي (١٣) بمعنى « كما يشاء ويريد »

الكفل إذا عدى الفرس القبق وكل ذلك في (مشوار) الفرس وطول الميدان المقدم ذكره . ويكون نزول الثلاثة الأسهم متوالية واحداً بعد واحد متصلين وحسن قوة الأسهم(١)ان يكون أربعين رطلا بالشامي حتى تنزل الثلاثة الأسهم بعضها وراء بعض من علو سن الأسهم . وفي العود إلى رأس الميدان يرمي أيضاً على القبق ثلاثة أسهم في (مشوار) راجلا [٢] (الأول) حين سرفة [٣] القوس و (الثاني) عند قرب القبق و (الثالث) حين عدت الفرس القبق يلفتها سريعاً ويرمي عليه . والأحسن أن يرمي تارةً على قوس زنته [٤] خمسة وأربعون رطلا شامياً بنشاب يسمى مجراة وتارة على قوس قوته خمسون رطلا شامياً أيضاً ويسمى هذا القوس الشرخ وقد رمي على هذه الطريقة بحضرة السلطان الاشرف قايتباي وقد تفرج على هذا الرمي قاضي القضاة قطب الدين الخيضري من قصره بالشرف الأعلى تجاه هذا القبق وكان لهذا القصر سبعة شبابيك من حديد وفي وسطه فسقية منصبة [٥] وخارجه صفّة قمرية بطشطية من حجر المرمر وبقرب هذه الصفة حمام وقد زال هذا كله .

وكان تجاه هذا القبق من جهة القبلة أسفل الشرف القبلي بستان يقال له النمورة وهي اسم لزهر السفرجل في حفلته تهرع الناس إليه للنزهة وكأنه لم يكن هناك .

ومن متنزهاتها ميدان البلكي [٦] وطوله على ظهور الخيل مائة وتسعون فرساً وطول رمي البلكي مائة وأربعة وعشرون قوساً وفيه كومان الاول من جهة الرأس مسنم طوله ثلاثة أقواس والثاني مقابله وطوله أيضاً ثلاثة أقواس وعرض وجه الكوم قوس والبارز بينهما ثمانية عشر بعد مائة قيساً [٧] . وقرب هذا البلكي بستان السيرجي ويعرف بالجودة تهرع الناس إليه في أيام حفلته وهو التفاح لكثرته به . ومنها بستان المرشدية [٨] بالقابون التحتاني تهرع الناس إليه في يوم خميس البيض للفرجة على زهر اللوز لكثرته به . ومنها[٩] ست الشام بالوادي التحتاني تهرع الناس إليه في أيام حفلة

(١) لعل الصواب القوس (٢) في الاصل « واحد » (٣) في الاصل « سوق الفرس» (٤) الغالب في القوس التأنيث وقد تذكر (٥) في الاصل «متسعة» (٦) الغالب انه البلكي بالباء (٧) لعله قوساً ولعلها قياساً أو قوساً (٨) في الاصل الوشدية (٩) لعل الصواب بستان ست الشام

الزهر من حيث هو موجود كزهر المشمش وهو الغالب فيه . ومنها المحلات لدود القز بين عدة أنهر قرب ضريح الشيخ رسلان تهرع الناس إليه في أيام حل جوز القز حتى يصير حريراً للفرجة عليه . ومنها باب كيسان أحد أبواب دمشق تهرع الناس إلى ظاهره في أواخر الشتاء للفرجة على المسابقة بين الخيل في مكان يقال له طابق البرينات[١] . ومنها الشيخ سعيد[٢] قبلي المزة تجاه محل استسقاء أهل دمشق وقد أدركت به منبراً من حجر حتى قبته وإلى جانبه محراب من حجر ودائره حيطان أربعة من ابن يهرع الناس إلى هناك للفرجة على الوادي الفوقاني ذهاباً واياباً ويزورون الشيخ سعيداً في[٣] زاويته وفوقه قميص اذا ذكر[٤] الفقراء يبقى هذا القميص يهتز وان لم يكن هواء وانما يهرعون إلى هناك أيام قطع الأنهر لتعزيلها ورد مائها على نهر بردى أسفل هذا الوادي ومنها قرية عين الفيجة أصل هذا النهر يهرع الناس إليها أيام استواء[٥] القراصيا فانه لا يوجد بدمشق أحسن منها ولا أكثر ولأجل ذا[٦] يذهب منها أحمال في علب على بغال إلى سلطان مصر في دولة الجراكسة . ومنها قرية برزة شرقي جبل قاسيون يهرع الناس إليها لزيارة مقام الخليل عليه السلام أعلاها أيام استواء[٧] تينها فانه لا يوجد اذ ذاك أحسن منه ويكون التين الماسوني[٨] قد فرغ . ومنها الخميسات قبلي مغارة الجزع[٩] وانما سميت بذلك لأن مبتدأها كان لزيارة الأموات والآن للفرجة يهرع إليها النـاس أيام وجود البلح[١٠] وحب الآس وربما يختصر بعضهم فيجلس عند عين الكرش ويسمى ذلك المـكان بالمقصبة » . انتهى ما أورده بنصه وعامية عبارته .

مصر القاهرة : أحمد تيمور

(١) في الاصل (البريكات) (٢) لعل الصواب « مسجد الشيخ سعيد » (٣) وفي الاصل « وهو مدفون في زاويته » (٤) في الاصل « ذكروا » (٥) عامية بمعنى « نضج » (٦) كان (٧) نضـج (٨) في الاصل الماسيوني وفي محاسـن الشام للبدري الماسوني (٩) في الاصل « الجوع » وهو الاصح (١٠) لعله الثلج .

جلسة عامة

يوم الخميس في ٢٣ آذار ١٩٢٢ الساعة الرابعة بعد الظهر اجتمع المجمع برئاسة رئيسه الاستاذ السيد محمد كرد علي والاساتذة الشيخ سعيد الكرمي وأنيس أفندي سلوم والشيخ عبد القادر المغربي وعيسى أفندي اسكندر المعلوف وفارس بك الخوري والمطران ميخائيل بخاش والشيخ عبد الرحمن سلام والشيخ عبد القادر المبارك والدكتور مرشد بك خاطر ورشيد بك بقدونس فذكر الرئيس خلاصة أعماله عن زيارته اوربا ومدارسها ومتاحفها ودور كتبها والاطلاع على حركة الاستشراق العربي فيها قال: كان أهم شاغل لي في فرنسا زيارة مدارس النواحي في القرى للذكور والاناث ومدارس المعلمين والمعلمات على اختلاف طبقاتها ودور الحضانة أو حدائق الاطفال وقد لقيت من القائمين على تلك المدارس كل رعاية ومعاونة وحضرت بالنفس القاء الدروس واطلعت على تراتيب تلك المعاهد ولا سيما في باريز وضواحيها مثل سان كلو وسيفر وكلامار . وقد دعيت في باريز إلى حضور جلسة الجمعية الآسياوية برئاسة المسيو سينار Senart العالم المشهور وقد حضرها كثير من اخواننا علماء المشرقيات في باريز فأهل بي الرئيس وحياني وحيا في شخصي المجمع العلمي العربي واستفدت فوائد كثيرة من هذه الجلسة التي خطب فيها اثنان من الأعضاء انتدبتهما الجمعية الآسياوية إلى حضور احدى المؤتمرات في اميركا الشمالية فقدما لجمعيتهما حساباً علمياً عما شاهداه وواحد منهما اخصائي في الآثار المصرية والآخر في الآثار الصينية . وزرت هذه المرة أيضاً مدرسة اللغات الشرقية وتعرفت الى مديرها المسيو بويه Boyer وقد تفضل وقدمني الى كثير من المستشرقين والشرقيين من هنود وصينيين ويابانيين وفرس ممن يدرسون في مدرسته السنتهم الشرقية .

قال وحضرت في باريز عدة خطب ومحاضرات ودروس المستغلين بآثار الشرق منها دروس احد اعضاء مجمعكم صديقنا المسيو ماسنيون Massignon في (كوليج دي فرانس) وفي جمعية العلماء وهو يتكلم عن الشرق الاسلامي كلام فهم وصحة حكم

وحضرت محاضرة المسيو فرّان Ferrand احد علماء المشرقيات وناشر كتاب ابن ماجد البصري في الملاحة العربية واني اقترح عليكم ان يضم هذا الرجل الى اخواننا اعضاء المجمع ليستفيد منه مجمعنا كما اقترح عليكم ضم اربعة آخرين وهم المسيو كليمان هوار Huart مؤلف تاريخ العرب وكتاب آداب اللغة العربية وناشر كتاب البدء والتاريخ وغيره المسيومارسيه Marçais وهو مستشرق كبير يصرف نصف سنته في التدريس في تونس والنصف الآخر في مدرسة اللغات الشرقية بباريز وله عدة مصنفات وآثار ويحسن العربية كما تحسنها ويتكلم كما تتكلمون بطلاقة لا عجمة فيها والرجل الثالث المسيو باسيه Basset عميد مدرسة الآداب في الجزائر وناشر المؤلفات المفيدة واحد مديري تأليف دائرة المعارف الاسلامية والرجل الرابع المسيو ميشو بللر Michaux Bellaire احد العارفين بتاريخ الغرب الاقصى واجتماعه وعلومه وناشر الكتب والابحاث المفيدة فيه وهو مقيم في مراكش منذ ثماني وثلاثين سنة وينزل الآن طنجة وقد تزوج بمراكشية من عهد طويل ويعيش عيش المراكشيين ويلبس لباسهم ويصوم معهم ويتأسى بعاداتهم ويتكلم بلهجتهم . والمستشرقون الثلاثة الاخيرون يوقفون مجمعكم ولاشك على امور كثيرة تنفعه من علوم ثلاثة أقطار عربية مراكش والجزائر وتونس او الغرب الأقصى والاوسط والادنى .

قضيت في فرنسا شهراً ونصفاً ثم ذهبت الى البلجيك فنزلت بروكسل عاصمتها وسألت عن علماء يعنون باللغة العربية فدللت على احد الرهبان فقصدته في ديره فلم اظفر به . ودروس الاستشراق العربي ضعيفة وان كان بعض الشبان هنا يعنون على ما بلغني بدراسة العربية ولم نعرف بعد المسيو شوفين Chauvin المتوفى ان هناك رجلا كبيراً يعتمد عليه من المشتغلين من البلجيكيين في المشرقيات العربية وزرت في بروكسل معهد المجمع العلمي الملوكي الذي هو على اتصال دائم مع مجمعكم بيادلنا مطبوعاته . ولما نزلت هو لاندة كان من اكبر همي ان ازور المسيو سنوك هو رغرون Snouck-Hurgronje من مشايخ الاستشراق في الغرب وقد صرف بضع عشرة سنة من حياته في جاوة ومكة المكرمة وهو عارف باحوال الاسلام والمسلمين معرفة تامة ضليع من الفقه والشريعة الاسلامية وحتى انه يعدفيها إماماً بعدوفاة شخ المستشرقين صديقنا الاستاذ غولد صهير

Coldziher المجري واني اقترح على مجمعكم العالي ان يضم اليه هذا العظيم بعلمه ومكانته في بلاده وجزيرة العرب وجزائر جاوة وما اليها وهو الآن أستاذ العربية في جامعة ليدن خلفاً للاستاذ هوتسما Houtsma عضو مجمعكم الذي اعتزل الخدمة وهو اليوم في سن الشيخوخة في اوترخت ولا يزال دؤوباً على العمل ومدير تأليف دائرة المعارف الاسلامية وقد تشرفت بزيارته في بلده وتفضل وكتب لي تقريراً بالافرنسية عن تاريخ الاستشراق في هولاندة والمقصد من تعلم العربية عندهم وسأنشره في فرصة أخرى وعسى ان يرضى مجمعكم أيضاً بان يضم إليه من المستشرقين الهولانديين مستشرقاً آخر اسمه الدكتور فان اراندونك Arendonk وهو مؤلف تاريخ المعتزلة وله مقالات في الموسوعات الاسلامية وغيرها .

أما في انكلترا فقد زرت في جامعتي كمبردج واكسفورد صديقينا عضوي مجمعكم الشرفيين الاستاذين براون ومرجوليوث Browne و Margoliouth وسررت جداً بلقاء الاستاذ بفن Bevan من أساتذة (ترنيتي كوليج) أحد معاهد جامعة كمبردج وناشر كتاب مناقضات جرير والفرزدق وغيره من آثار العرب وهو يشتغل بشعر العرب العرباء ومثله بضعة أفراد من علماء المشرقيات في اوربا يتوفرون اليوم على دراسة هذا الشعر واني اقترح عليكم أن تتفضلوا وتفكروا في ضم هذا المستشرق المستعرب إلى جماعتكم ليستفيد منه مجمعنا لانه خدم آداب لغتنا خدمة طويلة خالصة وقد زرت مدرسة اللغات الشرقية التي أنشأتها انكلترا في عاصمتها لندرا سنة ١٨١٦ زمن الحرب العامة على مثال مدرستي باريز وبرلين واستدعت شيوخ المستشرقين لتدريس لغات الشرق فيها وهي لا تقل عن ثلاثين لغة ولهجة .

نسيت ان اذكر لكم اني زرت في جامعة ليدن في هولاندة مكتبتها العربية وهي لا تقل عن ثلاثة آلاف مجلد كما زرت مكتبة المتحف البريطاني في لندن ولاسيما مخطوطاته العربية وزرت داري الكتب في جامعتي كمبردج واكسفورد وفيها أمهات من ألوف من المخطوطات ومنها ما لم نطلع عليه . وقدرت ان ما حفظ من المخطوطات العربية في مكتبة وزارة المستعمرات الانكليزية والمتحف البريطاني ومدرستي كمبردج واكسفورد بمئة الف مجلد ولا تزال في نمو متواصل وهي مفهرسة مبوبة طبعت قوائم

المجموعات الاولى منها منذ اكثر من مئة وخمسين سنة ولا تزال تضاف اليها ملحقات كلما توفر منها قسم جديد وينشر ذلك ويستفاد منه بالتأني والدؤوب واعمال علماء الانكليز كاعمال هذه الامة تسير ببطء شديد ولكن على صورة ثابتة متصلة .

وبعد أن تكلم قليلاً عن حركة المشرقيات العربية في انكلترا قال : اني زرت مجريط عاصمة اسبانيا واجتمعت بصديقنا الاب آسين احد أعضاء مجمعكم وقد اطلعني في خزانة كتبه على قماطر الجزازات (Fiche) التي جمعها الاستاذ ريبرا المستشرق الاسبانيولي في تراجم علماء العرب في الاندلس وهي ثلاثون ألف جزازة لثلاثين الف عالم وقال لي ان الأستاذ البرنس كايتاني عضو مجمعكم في رومية قد استنسخها مؤخراً وسيطبعها لتعم فائدتها وزرت القسم العربي من خزانة مكتبة الامة وفيه مجموعة لا بأس بها كما زرت خزانة كتب الاسكوريال من اديار القرون الوسطى والقسم العربي منهـا حديث أخذ غنيمة من احدى سفن ملك المغرب الاقصى على مقربة من اسبانيا وذلك في القرن السابع عشر ولا تقل هذه المجموعة عن الفي مجلد وليس في بلاد اسبانيـا مجموعات مهمة من المخطوطات العربية لان رؤساء الدين فيها كما تعلمون يوم فتح صاحب قشتالة الاندلس واستخلصها في القرن التاسع للهجرة من ايدي العرب ظلوا نحو خمسين سنة يحرقون كتب العرب حيث وجدت ليقضوا بها عليهم وعلى مدنيتهم وذكر الرئيس أشياء كثيرة عن متاحف اسبانيا والاندلس وعن مجموعات خاصة من العاديات والاعلاق النفيسة ثم قال : ولما وافيت برلين كان من أكبر همي استنساخ مخطوطات عربية نادرة من دار كتبها بالتصوير الشمسي ففعلت وأخذت بهـذه الطريقة أربعة مخطوطات من برلين وأربعة من مكتبة ميونيخ عاصمة بارفاريا وأكثرها مما يتعلق بتاريخ هذه البلاد بلاد الشام وهي (١) كتاب « الباشات والقضاة بدمشق زمن السلطـان سليم خان وبعده لمحمد بن جمعة المقار أوله الباب الرابع والخمسون وهو قطعة من كتاب (٢) كتاب ايضاح الظلم وبيان العدوان في تاريخ النابلسي الخارج الخوان لحسن بن أحمد ابن عربشاه وهو مسجوع (٣) تراجم الاعيان من ابناء الزمان للحسن البوريني فرغ منه أوائل رجب المرجب سنة ثمان وسبعين والف (٤) تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي (٥) كتاب نقش فصوص خواتم الحكماء واجتماعات الفلاسفة في الاعياد

وتفاوض الحكمة بينهم (٦) تراجم اعيان الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر تأليف عبد الرحمن بن محمد بن حمزة واسمه الجواهر والدرر في تراجم اعيان القرن الحادي عشر وهو مسودة المؤلف «٧» تاريخ الامير فخر الدين بن معن تأليف احمد بن محمد الخالدي الصفدي «٨» كتاب الدارس للنعيمي وهي نسخة بخط ولد المؤلف مخرومة قليلا وذلك لكي نعارض عليها نسختنا المحفوظة في دار الكتب العربية بدمشق ومعلوم اننا نريد ان نطبعها .

ولايتسع الوقت حتى اذكر لكم ما رأيته من المخطوطات العربية النادرة في داري كتب برلين ومونيخ . وامهات خزائن الكتب العربية في المانيا توجد في برلين في دار كتب الامة ودار كتب مدرسة اللغات الشرقية وفي خزانة كتب الحكومة في مونيخ وفي خزائن الكتب العامة في غوتا وغوتنغن وليبسيك ومن اقدر علماء المشرقيات العارفين باللغة العربية عندهم الاستاذ متفوخ Mittwoch والاستاذ ساخو Sachau والدكتور موريتز Moritz والدكتور فيل Weil والدكتور بكير Becker في برلين والدكتور بركسترازي Bergstrasser والاستاذان فيشر Fischer وريشار هارتمان Richard Hartmann في ليبسيك والاستاذ بروكلمان Brockelmann في هالي وقد نقل الى برلين والاستاذ غريم Grimm في مونستر والاستاذ جاكوب Jacob في كيل والاستاذ هيل Hell في ايرلانجين والاستاذ هوميل Hommel في مونيخ والمعلم ليتمان Littmann في توبنغن والمعلم ريتر Ritter في همبورغ والاستاذ نولدكه Noeldeke في كرلسروح والاستاذ ركاندورف Reckendorf في فرايبورغ والاستاذ هور وفتز Horovitz في فرنكفورت . وقد اجتمعت ببعضهم ومنهم من اعرفه من قبل واری من واجبي ان اذكر مجمعكم العالي بان لنا من اعضاء الشرف في تلك البلاد الاستاذان بروكلمان ومتفوخ فاذا حسن لديكم ان تضموا إليهما الاساتذة نولديكه وهورفتز وهوميل وهارتمان تتم معلومات مجمعنا عن الحركة الاستشراقية . وقد زرت في جنيف الاستاذ مونته Montet عضو مجمعكم ومن اساتذة جامعتها كما لقيت في القاهرة خمسة من اعضائه وهم الدكتور يعقوب صروف واحمد كمال بك واحمد تيمور باشا واحمد زكي باشا والدكتور او جينو غريفيني Griffini الايطالي .

ورأيت كل من اسعدني الحظ بالاجتماع بهم من علماء المشرقيات يثنون على عملكم

وعمل اخوانكم في مصر والشام والعراق وغيرها من الاقطار وهم ينظرون فيما تنشرون نظر تدقيق وبحث ويناجونكم من وراء البحار بما يقرأونه من ابحاثكم ومحاضراتكم في مجلة المجمع العلمي العربي . وقد زرت المخطوطات العربية المبعثرة بل المحفوظة في مكاتب عواصم اوربا وهي لاتقل عن ربع مليون مجلد راهمها في فرنسا وانكلترا والمانيا وايطاليا والنمسا وهولاندة والسويد والدانيمرك واسبانيا وبولونيا وروسيا واذا صحت العزيمة على اخذ النوادر من المخطوطات الموجودة في الغرب بالتصوير الشمسي لاتمضي على دار الكتب العربية في هذه العاصمة بضع سنين حتى يكون لها منها مجموعة مهمة ويرى فيها كل طالب ومؤلف بغيته من آثار السلف كما تفعل الآن دار الكتب السلطانية بالقاهرة وتصور كل سنة عشرات من الاسفار المخطوطة بهذه الطريقة في النسخ الامينة من المسخ والسلخ .

وبعد ان افاض في هذا الشأن قال : اني صرفت وقتاً في زيارة دور الآثار ومعاهد العاديات في جميع المدن التي زرتها في اوربا في سياحتي هذه المرة الثالثة فلما رأيت احتفاظ تلك الامم بعادياتها وتحفها كتبت الى صاحب السلطة الاول في سورية ألفت نظره الى ما اخشى عليه من اخذ آثار سورية الى خارج البلاد ورجوته ان يتفضل فيأمر من يلزم للاحتفاظ بآثار الشام في امهات مدنه ليحفظ بذلك تاريخها وثروتها كما فعل صاحب الشأن في الغرب الاقصى ومنع اصدار الآثار المراكشية الى الخارج وجعلت في دور ومتاحف ليستفيد ابناؤها منها علماً وعملاً ومادةً ومعنى وعساه فاعل بحول الله .

ثم قال وبهذا المقام اسمحوا ايها السادة ان اقترح عليكم ضم الاساتذة بول Buhl وبدرسين Pederson واوستروب OEstrup من علماء المشرقيات المستعربين في الدانيمرك ولهم مقالات مهمة في الموسوعات الاسلامية وآثار وعناية بلغة العرب والاستاذ هيس Hesse في زوريخ في سويسرا والاستاذ زترستن Zetterstein في او بسالا في السويد والاستاذ ماكدونالد Macdonald في جامعة هارفرد في اميركا والاستاذ كوفالسكي Kowalski في كراكو في بولونيا والاستاذ موجيك Mzik في فينا من النمسا والاستاذ موزيل Musil في جامعة براغ عاصمة التشكوسلوفاكيا

وهو المعروف في هذه الديار بالشيخ موسى الرويلي لانه قضى بضع عشرة سنة مع عرب الرولة ورسم احسن مصور لبلاد العرب وله مؤلفات كثيرة مهمة عن آثار بلاد العرب حازت مكانة عليا عند الباحثين في تاريخ الشرق وعادياته وبذلك يكون لنا اخوان واعضاء شرف في أهم البلاد التي تدرس فيها العربية وتنشر فيها تركة اسلافنا ويبحث فيها عن مدنيتهم وإذا انضاف إلى ذلك مازاد وسيزيد في خزانة كتبكم وفي دار الكتب العربية من الاسفار وما اطرد ارساله الينا من مجلات المستشرقين نكون قد خطونا الخطوة الاولى المهمة في سبيل انهاض مجمعنا العلمي وتحقيق الآمال في انفاذ الخطة التي اختطها لنفسه منذ أول تأسيسه وإذا كان هو الآن احدث مجمع علمي في العالم فلا يمضي زمن طويل حتى يشب وينمو بفضل معاونتكم وفي ظل انوارمعارفكم ومعاضدة حكومة البلاد وفقها الله .

وبعد ذلك تناقش الاعضاء قليلاً في مسألة ضم الاعضاء الجدد الى المجمع . وقال الاستاذ فارس بك الخوري : أيها الاستاذ الرئيس ان المجمع لايعرف أكثر هؤلاء الذين رشحتموهم لينضموا الينا ويعدوا في جملتنا من علماء المشرقيات في الغرب فاذا كانوا على مستوى اخواننا الذين انضموا الينا حتى الآن ولهم سابقة في خدمة لغتنا وآدابها ويرجى منهم خدمة لمجمعنا فانا نوافق على ضمهم . فاكد له الرئيس انهم كلهم من الكفاة المشهود لهم وان لهم آثاراً تنم عنهم في هذا الشأن فوافق المجمع على مقترح الرئيس وانفضت الجلسة الساعة السادسة .



ملاحظة

رأيت في اول صفحة من العدد الثاني لسنة ١٩٢٢ مانصه : واشتهر (قطرب) بتآليف كثيرة لغوية منها كتاب (المثلثات) المطبوع في ماربوغ سنة ١٨٥٧ م بعناية فيلمار وهي ارجوزة كان اول من جمعها ه

هـذه العبارة تقتضي بعض اصلاح او ايضاح وارجـو من جناب محررها السماح

(١) كتاب المثلث لا المثلثات كما جـرى عند الناس لم يطبع في علمي الى الآن

(٢) لم ينظم قطرب مثلثه وكتابه كسائر تآليفه منثور وتوجد منه نسخ عديدة في اوربا لاسيما في برلين عدد ٧٣ — ٧٠٧١ وفي باريس وليدن وعندي منه نسختان تامتان بخط مغربي عادي واول الكتاب « هـذا كتاب الفه قطرب بن احمد البصري سماه المثلث وهو حرف تراه في الكتاب على صورة واحدة ويتصرف على ثلاثة معان فمنه الغَمر والغِمر والغُمر الخ »

(٣) اما الذي طبعه فيلمار في ماربورغ (لاماربوغ) سنة ١٨٥٦ (لا ١٨٥٧)فهو ارجوزة المزدوجة التي نظمها رجيه الدين عبدالوهاب بن حسن بن عبد الوهاب المهلبي البهنسي الشافعي المتوفى سنة ٦٨٥ (ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ص ٣١٨ وطبقات الشافعية للسبكي ج ٥ وص١٣٣)وهذه الارجوزة قد طبعت في مصر سنة ١٣١٥ منسوبة لقطرب نفسه مع ان صاحبها قال في آخرها « نظمت في وصفي له مثلث القطرب » والارجوزة معزوة لمؤلفها المهلبي موجودة في مكتبة برلين عدد ٧٠٧٤ وغوطا عدد ٣٦ و٦١ و ٤١٠ وان اقتضى رأيكم الاصوب طبع كتاب مثلث قطرب فاني رهن اشارتكم لانسخه لكم احياء للرفات وانشاراً للأموات

قد كان خطر ببالي للايضاحات المتعلقة بكتاب الازمنة زيادة تختص بتعريف بعض العلماء المذكورين فيه كتعريف ابي تغلب عبد الوهـاب بن علي الذي ترجمته موجودة في كتاب الانساب للسمعاني في ظهر ورقة ٥٤١ وتعريف المعافى بن زكرياء الذي عقد له السيوطي في بغية الوعاة فصلا ص ٢٩٤ ثم ظهر لي انه ربما لايليق بالمجلة فوقفت القلم قبل الندم . . .

الجزائر　　　　　　　　محمد بن ابي شنب